اعضاء المجمع في الغرب

اغناطيوس كراتشقوفسكي

« ترجمته بقلمه العربي »

ولدتُ في ٤ آذار سنة ١٨٨٣ في ڤيلنا عاصمة ليتوانية القديمة ، وكان والدي رئيساً لمدرسة المعلمين فيها . ولكن لم يمض من عمري سنتان حتى ارتحلت عائلتي الى بلاد ما وراء النهر ، وعين والدي رئيساً لمدرسة المعلمين في تاشكند ، وبعد مدة وجيزة عين ناظراً عاماً للمدارس في آسيا الوسطى . وابتدأت أذكر نفسي طفلاً صغيراً في تاشكند واول لغة تكلمتها لغة أوزبكية لان حاضنتي كانت أوزبكية الاصل . وكانت تأثراتي الاولى في صغري بما وقعت عيني عليه من المساجد والاسواق الشرقية ، ولتنوع الامم والطوائف واختلاف الالبسة . وكان لهذه التأثيرات وقع شديد في نفسي ايام طفوليتي . واكبر ظني اني غدوت ميالاً الى الشرق وان كنت غير مدرك هذا الميل الغريزي .

وفي سنة ١٨٨٨ رجع والدي الى ڤيلنا وصار مديراً للمكتبة العمومية ، ورئيساً في لجنة البحث عن الآثار التاريخية القديمة ، ولم يزل عاملاً فيها الى ان فاجأته المنية رحمه الله في سنة ١٩٠٣ . وكنت في صغري ضعيف الصحة لتناوبني الامراض ، ولذلك كنت مع أمي الى سنة ١٨٩٣ في ملك صغير كان لنا في ولاية ڤيلنا ، وفيه كانت خزانة الكتب الكبيرة في أنواع منوعة في العلم جمعها جدي وابي وقد ضاعت في الحرب العالمية سنة ١٩١٥ مع كل ملك لنا . وكنت أتعلم القراءة في هذه الكتب وقرأت كثيراً من المؤرخين والقصاصين في اللغة الروسية . كنت أصغر أولاد أبي وأمي ، ولذلك نشأت بعيداً عن العشير والاتراب ، وربما صار هذا سبباً لحبي الوحدة وسوء الظن بالعالم ، والسوداء التي تعذبني أحياناً حتى الآن .

وفي سنة ١٨٩٣ دخلت المدرسة الاعدادية (الجيمناز) في ڤيلنا ، وأكملت دروسها سنة ١٩٠١ . وكانت مدرستنا من أشهر المدارس في ولايتها من حيث تاريخها وترتيبها . قامت على أساس الكلية الڤيلناوية التي ألغيت سنة ١٨٣٣ على اثر الثورة البولونية على روسية . وأصبحت مكتبة الكلية مكتبة عامة ، وبقي قسم منها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

في مكتبة المدرسة ، ولذلك رأيت فيها بعض كتب المشرقيات كمؤلفات العلامة دي ساسي . وقد حاولت في الصف الاخير ان أتعلم اللغة العربية من كتابه في الصرف والنحو المشهور ، ولم يتيسر لي ذلك لضخامة الكتاب وعدم المرشد . تخرّج من كليتنا وفي مدرستنا عدد ليس بقليل من علماء المشرقيات المشهورين في روسية مثل سينكوفسكي المعلم الاول للغة العربية في كلية لينيغراد من سنة ١٨٢٠ الى سنة ١٨٤٥ وتوراييف عضو اكاديمية العلوم ومؤسس الابحاث في قدماء المصريين في روسية المتوفى سنة ١٩٢١ . وفوتوريتش أستاذ اللغة المغولية في كلية أووف من بلاد بولونية الآن .

وكنت أهفو ايام الطلب الى علوم اللغات والآداب ، لا سيما اللغات « الميتة » اللاتينية واليونانية . ومما كان يلذني و يشوقني تعلم أغاني هوميروس والروايات التمثيلية التي كتبها شعراء اليونان فكنت استظهرها وارجعها . وكذلك كنت أحب علم التاريخ والإنشاء ، وكنت أتمرن في نظم الشعر ولكن لم أظفر منه بطائل . اما الرياضيات والطبيعيات فلم تلق اليها نفسي ، وان كنت غير قاصر فيها ، وأحرزت قصب السبق بين أقراني ونلت نوط الذهب عقبي المدرسة .

ولم أتجاوز السادسة عشرة من عمري حتى قويت أميالي وتعينت غرائزي وصرت أفكر فيما أجعله غرض حياتي ، وقد رأيت بعد بحث طويل ان العلم يجذبني اليه بقوة سحرية ، وان الشرق يكون ميدان أفكاري . ولا غرابة فقد زرت الشرق في طفولتي وكان ابداً يتماثل نصب عيني . وكان لي مثال آخر في شخص ابي فاني كنت أراه مكبّاً على الكتب والاوراق في الليل والنهار يبحث عن ماضي الزمان ورجاله .

وفي سنة ١٩٠١ دخلت قسم اللغات الشرقية في جامعة لينيغراد مدفوعاً بعامل الميل وهوى النفس انضممت الى سلك تلاميذ فرع لغات الشرق الاسلامي . فصرفت اربع سنوات في دراسة اللغة العربية والفارسية والتركية والتتارية وبعض اللغات السامية كالعبرانية ولا سيما الحبشية القديمة ، ودرست هذه الاخيرة على وطنيّ العلامة توراييف ، ولطالما فكرت ان أخصي فيها وأتعمق لكن اللغة العربية غلبت ضرتها وجذبتني جملة اليها . وكنت أدرس تاريخ الشرق الاسلامي برياسة العلامة برتولد الذي ترجمت بعض تآليفه الى اللغة التركية مؤخراً . وله التأثير المهم في حياتي العلمية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فانه باسلوبه السديد المتين وانتقاده المدقق أطلعني على أسرار فلسفة التاريخ . وكذلك درست علم اللغات العام على المعلم ميليورانسكي المنتقل الى رحمة ربه سنة ١٩٠٦ وعلم تاريخ الآداب العامة على العلامة اسكندر فيسيلوفسكي ، وهو من اكبر علماء العالم بأسره في هذا الفن . وكان له في نفسي تأثير قوي كتأثير برتولد في التاريخ ، وغدوت من ذلك الوقت أفكر في تطبيق أسلوبه التشبيهي على تاريخ آداب اللغة العربية ، وارجو ان اكون بلغت شيئاً من ذلك في مؤلفاتي عن العربيات .

اما العلوم العربية فدرستها على الاستاذ ميدنيقوف مؤرخ فلسطين المشهور المتوفى سنة ١٩١٨ الذي أثنى على تآليفه الكونت كايتاني من اعضاء المجمع العلمي العربي . اما عمدتي في العربية فهو العلامة فيكتور فون روزن عضو اكاديمية العلوم الذي طارت شهرته في بلاد الغرب والشرق (راجع المشرق سنة ١٩٠٨ ص ١٧٣—١٧١ والبشير عدد ١٨٤٥ للسنة ذاتها) . وكنت ايضاً أختلف الى بعض اولاد العرب الساكنين في روسية كفضل الله صروف الدمشقي المتوفى سنة ١٩٠٣ وانطون خشاب الطرابلسي آخذ منهما قليلاً من اللغة العربية الدارجة . ولقد أنجزت دروسي في الكلية سنة ١٩٠٥ نائلاً مدالية الذهب مكافأة لتأليفي عن خلافة المهدي العباسي آخذاً عن المصادر العربية كالطبري وابن الاثير والعيني والمسعودي وغيرهم .

وبعد انهاء دروسي في الجامعة كنت أواصل دروسي تحت انظار البارون روزن المومااليه خلال سنتين . وفي أواخر سنة ١٩٠٧ قدمت الفحص لنيل رتبة الماجسطروس في الآداب العربية . وبعد اشهر قليلة توفي استاذي البارون روزن وكانت وفاته ضربة هائلة علي ، شوشت صحتي وحركت المرة فيّ ، ولا غرو فاني كنت آخر تلاميذه وكان يسميني بلطفه المشهور بنيامينه الصغير .

وفي صيف تلك السنة نفسها أرسلتني نظارة المعارف وجامعة بطرسبرج الى الشرق العربي لتعلم اللغة العربية الدارجة والتعرف الى علماء العربيات والنظر في عوائد ابناء الشرق وآدابها . وقد قضيت سنتين بعيداً عن الروسية زرت خلالها مدن سورية وفلسطين ومصر وتوغلت في ربى لبنان وغاباته ومروج الجليل وصحاري مصر أزور حيناً المكاتب المشهورة وحيناً أجلس أمام العلماء المكرمين ، وتارة أختلف الى المدارس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الكبيرة كالكلية اليسوعية في بيروت والجامع الازهر والجامعة المصرية في مصر وزرت في سياحاتي مكتبة الملك الظاهر في دمشق والمكتبة الخالدية في القدس ومكتبة الموارنة في حلب والمكتبة الخديوية في القاهرة وغيرها مما تسنى لي الدخول والاشتغال فيه وجمعت المواد العديدة وكتبت بعض المقالات والانتقادات والاشعار المنثورة في الجرائد والمجلات العربية والروسية .

وتعارفت خلال إقامتي في الشرق العربي الى كثير من علماء العرب وأدبائهم وصحافييهم ولا أنسى لطفكم وعنايتكم مدى الدهر . وكان هذا اللطف العربي المشهور من اهم الاسباب التي جذبتني الى الشرق جذبة لا اتخلص منها ما دمت حياً . تعرفت الى كثير من العلماء الذين صاروا من اعضاء المجمع العلمي المكرمين فيما بعد . ففي القاهرة عرفت جرجي زيدان الذي اخترمته المنية سنة ١٩١٤ واحمد زكي باشا عضو المجمع العربي الحالي والاستاذ نالّينو الطلياني ، وفي فلسطين السيد خليل السكاكيني والشاعر الفاضل إسعاف النشاشيبي ، وفي بيروت حضرت دروساً للاب العلامة لويس شيخو ، وفي دمشق زرت إدارة مجلة المقتبس الغراء . واستفدت في هاتين السنتين اكثر مما استفدت طول حياتي . ولا أزال ارجو ان يرزقني الله رؤية تلك البلاد المحبوبة ومسامرة اعيان علمائها مرة ثانية ، ثم الله أسأل ان يمنيني بالخير فهو السميع المجيب .

وبعد رجوعي الى الروسية عُينت في صيف سنة ١٩١٠ مديراً لمكتبة فرع اللغات الشرقية في كلية لينيغراد ، وفي خريف هذه السنة صرت معلماً ثانياً للعربيات فيها وفي سنة ١٩١٤ سافرت الى اوربا لدرس بعض المخطوطات في مكاتبها المشهورة مثل ليبسيك وهالّة ولا سيما ليدن من بلاد هولاندا التي طارت شهرتها في الدنيا بسبب مجموعتها في الكتب . وقد اغترف منها كثير من علماء المشرقيات في اوربا . وعُينت سنة ١٩١٧ معلماً اول للعربيات في المدرسة المذكورة ، ولم ازل اجتهد في هذه الوظيفة حتى الآن على قدر الإمكان في تقلبات الزمان . وقد اصاب الدهر المستعربين غيري في لينيغراد . فمات الاستاذ الاول ميدنيقوف سنة ١٩١٨ وتوفي الاديب كوزمين احد تلاميذي سنة ١٩٢١ وقد كان مدة سنتين معلماً ثانياً في جامعتنا . وعين صديقي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الفاضل الاستاذ شميدت سنة ١٩٢٠ مديراً لمدرسة اللغات الشرقية في تاشكند من بلاد ما وراء النهر وبقيت الى الآن ادأب وحدي في التعليم .

وفي سنة ١٩٢١ انتخبت عضواً عاملاً في اكاديمية العلوم الروسية في قسم التاريخ واللغات فجلست في مجلس كان فارغاً بوفاة استاذي البارون روزن منذ سنة ١٩٠٨ . وفي السنة التالية انتخبت كاتماً لاسرار القسم المذكور .

وفي سنة ١٩٢٣ انتخبت عضواً مراسلاً في المجمع العلمي العربي في دمشق ، وكان ذلك اكبر شرف نلته مدة عمري وصار هذا التشريف مساعداً لي ومشجعاً في احوالنا الصعبة . ورأيت فيه تقديراً أتفاخر به لاتعابي في التعليم والبحث والتأليف منذ عشرين سنة .

اما مؤلفاتي العلمية التي بدأت بكتابتها وطبعها من سنة ١٩٠٤ فجلها ان لم اقل كلها في آداب العرب من بحث وترجمة وشرح وانتقاد ، وكتاب ومقالة ومحاضرة وملاحظة وعددها يربو على المائتين ولذلك لايمكن وصفها بتدقيق . وقد طبع فهرستها سنة ١٩٢١ وقت انتخابي عضواً في اكاديمية العلوم الروسية وتكلم في تقدير عملي العلمي ثلاثة من اعضاء الاكاديمية الاخصائيين في علوم المشرقيات ، وقد طبع تقريرهم مع الفهرست المذكور ولذلك اكتفيت بالإشارة اليه . ودوائر ابحاثي ثلاث : الاولى منها تاريخ الشعر العربي ونقده منذ قديم الزمان الى ايامنا هذه . والثانية آداب اللغة العربية بين نصارى العرب . والثالثة تاريخ آداب اللغة العربية منذ نهضتها الاخيرة في القرن التاسع عشر . وهذا الموضوع الاخير مما افتخر به فإني اول من كتب بالروسية فيه ، وقلّ من كتب عنها من المستشرقين في اوربا . ولذلك قرظ مؤلفاتي تقريظاً حسناً المرحوم مارتين هارتمن الذي كان مطلعاً على احوال العرب الادبية بمشاهداته الشخصية والإقامة بين اظهرهم .

ورجائي الآن ان أواصل ابحاثي في هذه الدوائر الثلاث وان يتيسر لي طبع ما تراكم لديّ من الآثار الادبية والابحاث والمقالات . فهذه هي أمنيتي الوحيدة والرجاء ان يبلغني تعالى سؤلي وان مع العسر يسراً وكل ضيق فالى فرج قريب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net